

تضاد الضمائر في شعر ابن حمديس (٥٢٧هـ)

م.د. فاتن طه احمد الحمداني

مديرية تربية نينوى

Contradictions of pronouns in the poetry of Ibn Hamdis (527 AH)

Md. Faten Taha Ahmed Al-Hamdani

Nineveh Education Directorate

ملخص البحث:

مثل البحث دراسة مرتكزة على الضمير باعتباره البؤرة الأساس القائمة عليها الدلالة ولاسيما إذ جاءت هذه الدلالة داخلية في أسلوب التضاد وبذلك أطلقنا على هذا النوع من التضاد بـ (تضاد الضمائر)، فهو نوع مبتكر من التضاد لم يسبق ذكره عند أحد، وجاءت دراسة هذا النوع من التضاد في شعر ابن حمديس الصقلي الأندلسي الذي سبق وذكرنا من خلال كشفنا على شعره أنواعاً أخرى من التضاد، بل أن أغلب شعره قائم على التضاد، ويتبين ذلك من خلال تحليل النصوص الشعرية لأبن حمديس في ضوء التضاد أو ما يسمى بـ (تضاد الضمائر)، وفي التضاد يأتي دور الضمير ليسبق حركة النص والانحراف في سياق النص العادي إلى سياق مغاير له عن طريق الضمير إلى آخر. **الكلمات المفتاحية:** (تضاد الضمائر، الانتقال في الدلالة، السياق، الالفاظ الضدية)

Summary:

The research represented a study based on the pronoun as it is the main focus upon which the meaning is based, especially since this meaning is included in the method of opposition. Thus, we called this type of opposition (the opposition of pronouns), as it is an innovative type of opposition that has not been mentioned before by anyone. The study of this type came from Contradiction in the poetry of Ibn Hamdis the Sicilian Andalusian, which we previously mentioned by revealing other types of opposition in his poetry. Indeed, most of his poetry is based on opposition, and this becomes clear through analyzing the poetic texts of Ibn Hamdis in the light of opposition or what is called (opposition of pronouns), and in Contradiction comes in the role of the pronoun to precede the movement of the text and the deviation from the context of the normal text to a different context through the pronoun to another. **Keywords:** (opposition of pronouns, shift in meaning, context, opposite words)

مدخل

تعد الضمائر منظوراً أساسياً في الكلام، وهي البؤرة المرتكزة عليها الكلمات والعبارات فتتنوع هذه الكلمات والمعاني على حسب قصد المرسل لها بواسطة الضمائر، لأنه "ينطوي على ازدواجية صريحة، فهو كلي في اللغة جزئي في الكلام (انا) أو (أنت) أو (هو) ضمائر يمكن أن يقولها أي شخص فتعنيه بذاته، وهذه الازدواجية التي يحملها الضمير تسمح لنا أن نميز بين الضمير والشخص، فالضمير هو الملفوظ اللغوي في صيغته المعروفة (انا- انت- هو) والشخص هو المعني الخارجي، العلاقات اللغوية الداخلية هي التي تحدد الضمير والعلاقات اللغوية الخارجية هي التي تحدد الشخص" (الغانمي، ١٩٩١، ٥٠-٥١)، وقد يأتي تبديل هذه الضمائر في الانحراف وكسر سياق النص العادي والمألوف بالانتقال إلى سياق آخر عن طريق تبديل هذه الضمائر وتغيير سيرها داخل النص فضلاً عن أهمية بنية التضاد المعروفة داخل النص والمحققة الوظيفة الدلالية والمتعة الجمالية لدى المتلقي في الكشف عن جوهر المعنى المشكل بين التراكيب، فقد يتداخل التضاد أو يترابط مع أسلوب آخر له دلالة في تحريك النص والتحكم بالمعنى. وبذلك نرى احتلال الضمائر المنتقلة بين اللفظ وضده وذلك بانتقال سياق المعنى بالضمير إلى ضده أي بانتقال الضمير إلى آخر، أو عملية الضدان على الضمائر فهناك " للضمير وجوه متنوعة من الاستعمالات، يجري بعضها في مخالفة قواعد اللغة واساليب تركيبها، وهي مخالفة مقصودة، يتوسل إلى أهداف ودلالات" (خربوش، ١٩٩٥، ١٠٩). وهذا الاستخدام للضمائر وتقسيمها بين الضدين يمثل تقنية اسلوبية يلجأ إليها الشاعر لتبنيه المتلقي التغيير باتجاه المعنى، لأن اختلاف الاتجاهات بين اللفظين وتغيير مسار النص يؤدي كسر أفق التوقع لدى المتلقي عن المعنى المقصود فإن

" العدول في استخدام الضمائر هو برنامج اسلوبي يخطط له المرسل، وليس مصادفة لغوية مجانية، لذلك ينبغي رصد كل البنيات الطارئة على مسيرة الضمائر ومعرفة قدرتها على التوصيل والتعبير، ومدى نجاحها أو اخفاقها في الوصول إلى الاهداف المرسومة لها" (خشقة، ١٩٩٠، ٢٠٩). وإن الانتقال في الضمائر والاختلاف بين الانتقال تعد " البنية الاعم والاشمل التي تتطوي تحتها فنون اخرى كالالتفات والتجريد والمناجاة، فضلاً عن تغاير سياق الضمائر بين غيبة وحضور وخطاب من جهة، وتغاير الضمائر ضمن السياق الواحد من جهة ثانية" (المختار، دون تاريخ، ١٠٤). فالالتفات بين الضمائر من معنى إلى آخر هو " ظاهرة اسلوبية تعود على انتهاك النسق اللغوي المثالي في الأداء بانتقال الكلام من صيغة إلى صيغة، ومن خطاب إلى غيبة، ومن غيبة إلى الخطاب إلى غير ذلك من انواع الالتفاتات" (عبد المطلب، ١٩٨٤، ٢٠٥). ويمثل انتقال هذه الالفاظ الضدية بالضمير من دلالة إلى اخرى اسلوب جديد ليجدد نشاط المتلقي فإن " الانتقال في الكلام من اسلوب إلى اسلوب إذ لم يكن إلا نظرية لنشاط السامع وايقاظاً للإصغاء إليه، فإن ذلك دليل على أن السامع يملّ من اسلوب واحد، فينتقل إلى غيره، ليجد نشاطاً للاستماع، وهذا قدح في الكلام، لا وصف له لأنه لو كان حسناً لما ملّ" (ابن الاثير، ١٩٨٣، ١٨٢). ونستطيع بذلك تحديد مفهومهما لتضاد الضمائر بأنه اسلوب التضاد القائم على أساس الضمائر، والتي تكون أما متصلة بالمتضادين أو تأتي بشكل منفصل عنها، وتمثل الضمائر والانتقال من معنى إلى آخر أهم ما يلتفت إليه المتلقي لأن هذه الانعطافة السياقية تمنح النص اداء دلالي مغاير. ومن خلال توضيحنا ودراستنا لهذا المفهوم نرى هذه الظاهرة في شعر ابن حمديس، ندرج من خلالها بعض ابیات من شعره موضحين اسلوب هذا النوع من التضاد. قال يمدح الامير يحيى بن تميم بن المعزّ: (من البسيط):

كأنّ الزمان الرحب من ذكره فمّ ونحن لسانٌ فيه ينطق بالشكر

تعود منه المال بالجود بذلة لايسار ذي عسرٍ واغناء ذي فقرٍ

فإن انت لم تتفقه انفق نفسه وصار إلى ما كان تدري ولم تدّر

(ابن حمديس، ١٩٦٠، ٢١٦)

يأتي التضاد في النص بشكل مكثف، فينتقل من تضاد إلى آخر وهذا ما نلاحظه في البيت الثاني وقوع تضاد المطابقة بين (ايسار/ عسر) (اغناء/ فقر) للوصول إلى الدلالة الايجابية وان الفاظ (ايسار/ اغناء) يبين هنا الشاعر شدة كرم الممدوح بأن المال تعود على البذل اي الكرم للناس لتيسير كل صعب واغناء كل فقر. ثم ينتقل في البيت الثاني إلى التضاد القائم على النفي بين (لم تتفقه/ انفق نفسه) الذي يمثل الفصل بين الضميرين بالانتقال من الضمير المنفصل (أنت) في البنية المنفية (انت لم تتفقه) إلى الضمير المتصل (هاء) في البنية المثبتة (انفق نفسه). نلاحظ ان تضاد النفي شمل تحول في الضمير الذي مثل تحول في الدلالة وانزياحاً في المعنى إذ " يسهم الضمير في تكوين انزياح دلالي بإحلاله محل ضمير آخر" (البك، ٢٠٠١، ٨٨) فأدى ذلك بالانتقال من انفاق الممدوح للمال إلى انفاق المال نفسه ومعنى ذلك إن أنت لم تتفق المال هو ينفق نفسه لأنه تعود على البذل والانفاق ويذهب إلى حيث تدري ولم تدّر، ونلاحظ هنا وجود نوع آخر من التضاد وهو تضاد النفي ويمثل صورة ايجابية للممدوح لإثبات كرمه وجوده. وهكذا نجد أن التضاد مثل تحول في الضمير الذي اخفى مظهراً اسلوبياً بارزاً في النص وقال يمدح ابن عباد: (من الطويل)

وجدنا " نعم" في الناس يهجر قولها كأن على الافواه من لفظها نقلاً

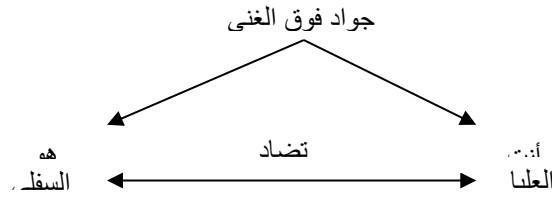
ولما احتواها كل حيّ تعلقت بلفظ ابن عبادٍ فكان لها أهلاً

جوادٌ بما فوق الغنى لك والمنى فهمتك العليا لهمة السفلى

(ابن حمديس، ١٩٦٠، ٣٧٧)

نلاحظ تضاد الضمير يقع في البيت الثالث بين (همتك العليا/ همة السفلى)، فإن الشاعر في البيت يقدم وصف موجه للمخاطب الممدوح، يبدأ بلفظ جوادٌ، الذي يشير فيه إلى أنه من شدة جواده يفوق الغنى ولا يتمنى منه شيء، يسير النص بالاتجاه العادي ولكن نراه في الشطر الثاني ينكسر هذا السياق بالانقسام بين الضميرين المعاكسين (أنت/ هو) للفظين المتضادين (العليا/ السفلى) فيعود ضمير المخاطب للممدوح الذي يمثل الدلالة الايجابية بلفظة (العليا) ويعطي ضمير الغائب (هو) للغنى الذي يمثل الدلالة السلبية بلفظة (السفلى) فقد استخدمت هذه المتضادات المستندة والمقسمة إلى ضميرين، بين ضمير المخاطب (أنت) وضمير الغائب (هو) التي تظهر الفرق بين الجانبين الممدوح والغنى (المال)، حملت هذه الضمائر عمقاً

للدلالة، فضلاً عن التحول من الخطاب إلى الغياب، مثلت التفريق بين الداليتين واختفاء الدلالة الايجابية التي يخص ويفرد بها الممدوح دون غيره ولتوضيح ذلك:

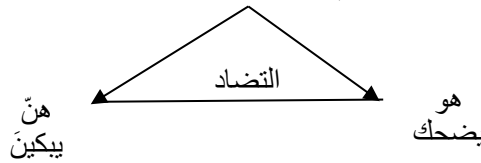


وقال يمدح الامير علي بن يحيى (من الرّمل):
يضحك في الغرب تغور الظّبا

وهنّ يبكين عيون الجراح

(ابن حمديس، ١٩٦٠، ١٠٠)

يقع التضاد في البيت بين (يضحك/ يبكين)، وهي الدلالة الواقعة على الضمير الغائب (هو) يضحك، والضمير الحاضر الجمع (هنّ)، وهنا يظهر التضاد واضح بين الداليتين، فالشاعر يمدح الممدوح ويعظم من شأنه وبين شجاعته في الحرب، إذ يضحك فيه قومه وجيشه بنصرهم على الاعداء الذي يقابله بكاء الاعداء بـ (عيون الجراح) فيمثل التضاد المقابلة بين الشطرين على مستوى الضمائر الموزعة على اللفظتين المتضادتين والتي تعود في النهاية على الممدوح فهو الذي يضحك وهذا ما يؤدي بدوره في بكاء الاعداء كما ويمثل أن يمثل ضمير الغائب حضوراً واسعاً على مستوى النص " فحركة المعنى داخل النص الشعري التي يحققها الاسلوب تعمل على تحريك انفعال القارئ فيتحدد على اساس ذلك، اقباله على النص بما يضمن تقبله لمضامينه الفكرية والمعرفية" (عبانة، ٢٠٠٧، ٢٦٤).



قال يصف راقصة: (من الطويل)
وتحسبها عما تشير بأنمل

إلى ما يلاقي كل عضو من الوجد

بنا لا بها تشتكي من جوى الهوى

وأدمع اشواق مخددة الخدّ

(ابن حمديس، ١٩٦٠، ١٣٣)

يظهر تضاد الضمائر بارزاً في البيت بين (بنا/ بها) اي بين ضمير المتكلمين (نا) وضمير الغائب (هي) الذي يشير إلى الراقصة، فنلاحظ دخول أداة النفي، وذلك لتقديم دلالة والغاء الاخرى المنفية، فدخل النفي على ضمير الغائبة (هي) الذي نفى عنها العذاب من هذا الهوى وإذراف الدموع الحارة على الخد، بما تشير إليها من حركات إلى القلب والعين وغيرها، فالإشارات تعود على ضمير الغائبة (هي) الراقصة التي تؤدي هذه الاشارات والحركات ولكن تأثيرها على الناظرين الحاضرين (نحن) فهذه الحركات مؤثرة بهم، تخال كأنها تحدث لديهم، فقد عبر الشاعر عن تحرك الراقصة إلى تحرك حقيقي لمشاعر الناظرين على النغمة المتحركة، وعبر عنها في اللغة عن طريق اسلوب التحرك والانتقال في الضمائر الذي يؤدي إلى انتقال الدلالة، فهو عبر عن تلازم الحدث في النص بانتقال الدلالة بين الضميرين (بنا/ بها) وتعزيز الدلالة لإحداهما ونفيها عن الآخر. وقوله في الغزل: (من البسيط)

اني لجمر وفاء يستضاء به

وأنت بالغدر تختارين اطفائي

(ابن حمديس، ١٩٦٠، ٢)

نلاحظ في البيت الضمائر بشكل بارز بين (اني) ضمير المتكلم و(أنت) ضمير المخاطب، فقد شكل البيت إلى جانب التقابل بين الضمائر، إلا أنه تقابل دلالي على مستوى الشطر والعجز، وهذه الضمائر المنفصلة هي الفاصلة بين الطرفين المتضادين في الشطرين، فيتميز كل طرف بدلالة مضادة للأخرى.

ضمير المخاطب

أنت

الغدر

اطفائي

ضمير المتكلم

اني

وفاء

يستضاء

≠

مثلت الدلالة في البيت عن طريق توزيع الالفاظ والدلالة المتناقضة بين الشطر والعجز وكذلك فهي وسيلة اساسية في تميز الدلالة الايجابية عن الدلالة السلبية، فقد أضفى الدلالة الايجابية على ضمير المتكلم (اني) ذاته، واضفى الدلالة السلبية على ضمير المخاطب (أنت) وبهذا بدت تعبيراً مباشراً عن افكاره وفصل لدلالة بين الطرفين لنقلها وتوصيلها بشكل واضح للمتلقي/ القارئ. قال يمدح يحيى بن نديم: (من الكامل)

وقفت عليها النضر والظفر

أو ما رأوا يحيى، سعادته

يُفنى اعاذها وإن كثروا

إن الزمان خديم دولته

لعفاته، ولعرضه خفر

ملك على الاسلام ذمته

عنها، إذا انبسطت له النظر

ذو هيبه كالشمس منقبض

(ابن حمديس، ١٩٦٠، ٥٢٦)

يقدم الشاعر في الابيات مدحاً يصف فيه ممدوحه يحيى بن تميم، ويمكن رصد بنية التضاد في النص الذي يمثل اسلوبه الشعري الذي يعتمد عليه في توضيح غرضه، فنجد في البيت الثاني التقابل في الضمائر بين (هو/ هم) الذي جاء به ليعبر عن الالفاظ الضدية (يفنى/ كثروا) إذ يبين هنا أن الزمان هو خديم دولته في الحياة، وهو الذي يفنى الاعادي وإن زادوا وكثروا، موضحاً ذلك بأسلوب التضاد (يفنى) الذي يعود على الزمان (هو) و(كثروا) بضمير الجمع (الواو) الذي يعود على اعاذها، كما نرى في البيت الأخير صورة شعرية اخرى تمثل التقابل بين (منقبض عنها/ انبسطت له) وذلك بين الضمائر البارزة والمستترة اي (هو- هي/ هي- هو)، فمن ناحية مثل هذا التقابل معادلة موضوعية متوازية بين (الممدوح/ الشمس) ومن ناحية اخرى مثل انكساراً للسياق الحاصل في النص لأنه قلب بين الضمائر المتقابله، ولكن هذا التبادل والقلب بين الضمائر يعد تعادلاً دلالياً بين الطرفين، وهو مسوغاً اسلوبياً وموقفاً اساسياً في النص لفصل الدلالات بشكل متعادل كما تمنح ثباتاً بتعادلها فعلى الرغم من اختلاف الضمائر للدالتين إلا أنها تتوحد لتعود بالدلالة الايجابية للممدوح.

وقال يرثي القائد عبد الغني بن القائد عبد العزيز الصقلي: (من الخفيف)

وهو للأصفياء غير صفي

غر من ظن أن يصابي دهرأ

(ابن حمديس، ١٩٦٠، ٥٢٦)

شمل البيت التبادل والانتقال على مستوى الضمير ولاسيما أن هذا التبادل يغطي مساحة واسعة من البيت، يقدم الشاعر في البيت دلالة سلبية يصف فيها الدهر مقابل ذلك بين الالفاظ (الأصفياء/ غير صفي) التي تتعلق بالضمائر وتشير إلى دلالتها الايجابية (هم/ هو) إذ جاء الضمير (هو) ظاهر بارز في البيت (وهو غير صفي) الذي يشير إلى الدهر فقد مثلت الالفاظ دلالة محققة من الشطر الأول من البيت، فانه يرى، بأنه لا يغر أحكم في أن يصابي دهرأ، إذ يأتي الشطر الثاني موضحاً ذلك ويتجه تلقائياً ليعطي دلالة مؤكدة بأن هذا الدهر للأصفياء غير صفي فكيف سيصفى لأحد، فقد اسهمت هذه الالفاظ بإضفاء صورة شعرية مميزة محققة بأسلوب دلالي جيد من خلال تعبيره عن التبادل الحاصل بين الضمائر في سياق اسلوب التضاد، وذلك لاستمرار الدلالة على النسق الغيابي لأحد الضمائر. قال يتغزل: (من الكامل)

فالذنب منه وضده مني

لم اسل عنه وقد سلا عني

قمرٌ، ملاحات الورى جمعت
قد كان يبلغ من مواصلي
في خلقه فناً إلى فن
ظني وفوق نهاية الظن
ويضيف ريقته بقبلته
كإضافة السلوى إلى المن
فاليوم ينفر من ملاحظتي
كنفاء انسي من الجن

(ابن حمديس، ١٩٦٠، ٤٩٢)

يظهر التضاد واضح في البيت الأول بين (لم اسل عنه/ سلا عني)، فالإلى جانب التضاد هناك تبادل في الضمائر بين المتضادين (هاء الغيبة/ ياء المتكلم) (عنه/ عني) إذ حققت هذه الثنائية نقلات ضمائرية متبادلة، فكل جهة من التضاد ارتبطت بمرجعيتين متقابلتين. اللفظة المنفية لم اسل = انا عنه = هو اللفظة المثبتة سلا = هو عني = أنا فيأتي دور هذه الضمائر بالانحراف وكسر سياق النص المألوف إلى سياق آخر فإن " الأمر المهم هو مرجعية الضمير لأنها تمثل انعطافة اسلوبية واعية تمنح النص دفقة دلالية مكثفة يستدعيها تتابعه السياقي" (داوود، ١٩٩٩، ١٠٢). يبين الشاعر في الأبيات بأنه لم ينسِ الحبيبة (لم اسل عنه) إذا مثلت بدورها الدلالة الايجابية للمتكلم التي اشار بها إلى الحبيبة بضمير الغيبة (هو) التي اعطاها الدلالة السلبية (سلا عني) اي قامت بنسيانها، ثم يقدم لنا في عجز البيت النتيجة من هذا التضاد وذلك بانتقاله إلى دلالة ضدية اخرى الذي يكون فيها الطرف الثاني مخفي وغير ظاهر في الكلام (الذنب منه وضده مني) فلفظة (الذنب منه) يعطيها للحبيبة وهي الطرف الأول من الثنائية والتي مثلت دلالة سلبية تتفق مع الدلالة السلبية الاولى (سلا عني)، اما (ضده مني) وهي توحى بلفظة ايجابية لأنها تكون مضادة لللفظة (الذنب) اي المقصود بذلك (البراءة) التي عبر عنها بدلالة خفية في السياق فكسر سياق النص باعتقال اللفظة المضادة موضعها، فتعد هذه اللفظة بمثابة مفاجئة للمتلقي بحمله إلى اشغال الذهن للتوصل إلى اللفظة المضادة، وملاحظة استخدام الشاعر لأسلوب التضاد بشكل متعادل الدالتين والذي يعطي تعادل بين الدلالة وضدها نوضح ذلك :



قال يرثي نية له: (من الطويل)

فعثت وماتت وهي مخزونة قبلي

بكتني وظنت اني مت قبلها

(ابن حمديس، ١٩٦٠، ٣٦٦)

نلاحظ التضاد بشكل واضح في البيت ولاسيما انه يقوم بشكل خفي على التبادل بين الضمائر بين ضمير المتكلم (أنا) وضمير الغائب (هي) ويمثل الانتقال بهذين الضميرين، فهذا ما يسمى بالتبادل الانتقالي فإنه يحقق نقلة موقعية ليست على صعيد اللساني للضمير حسب بل على صعيد مرجعيته أيضاً من خلال الانتقال من مرجح إلى آخر" (داوود، ١٩٩٩، ١٠٣) وذلك لتحقيق الدلالة تتضافر الضمائر مع بعضها ليعبر بها الشاعر في رثاء لأبنته التي بكت على موته ولكنها ماتت قبله مخزونة عليه، ولم تعلم أنه لم يمت بعد وما نلاحظه أن تضاد الضمائر يركز على الالفاظ الاساسية (عثت/ ماتت) فعثت/ تعود على ضمير المتكلم أنا وتقابلها ماتت/ التي تعود على ضمير الغائب (هي) كما في الفاظ بقية البيت فإنها موزعة على الضمائر بشكل متساوٍ، ويمكن ان نرى التبادل الانتقالي لموازن بين الطرفين:

فعثت وماتت وهي مخزونة قبلي

بكتني وظنت انني مت قبلها



وهكذا نجد أن الانتقال الضمائري القائم في البيت تبدأ من (أنا- هي) وثم (أنا- هي) إلى (أنا- هي) وثم في نهاية الشطر يحدث قلب بين الضميرين إلى (هي- أنا) وهذا يمثل كسراً للسياق فالقارئ يتحسس بنبرة الانتقال بين الضمائر لكن يفاجأ بكسر هذه النبرة المألوفة إلى الاتجاه المعاكس بقلب هذه الضمائر. وقال يمدح الحسن بن علي بن يحيى (من المتدارك):

ان ابن علي حازر علي
فالفعل له والقول لنا

(ابن حمديس، ١٩٦٠، ٥١٢)

إن تضاد الضمير وقع بشكل واضح بين الضميرين البارزين في (له) الضمير الهاء الذي يعود على الممدوح وضمير (نا) المتكلمين أي (الفعل له/ القول لنا) مثلت هذه الالفاظ ودلالاتها مدحاً خاصاً للممدوح، إذ يقدم الشاعر الممدوح ويرفعه ويعظم من شأنه، أي يعطي فرقاً بين اللفظين فالفعل = له القول = لنا إذا أعطى الشاعر بين الضميرين لفظيتين لتعطي دلالتين مختلفتين وبدوره ليضفي الدلالة الايجابية والتي تعود بالضمير على الممدوح. وقال في المعتمد: (من الطويل)

بكيتُ زمانا كان لي بك ضاحكاً
وكسرُ جناحي كان عندك ذا جبر

(ابن حمديس، ١٩٦٠، ٢٧٢)

يمثل التضاد في البيت الدلالة الاساسية ولاسيما في سياق الضمائر في كل شطر (بكيتُ/ ضاحكاً) و (كسر/ جبر) أي (انا/ أنت) و (انا/ انت) فقد مثل التضاد اللفظي الانتقال على مستوى الضمير من ضمير المتكلم (أنا) إلى ضمير المخاطب (أنت).

في الشطر الثاني

(جناحي) الياء = أنا

(عندك) الكاف = أنت

ففي الشطر الأول

(لي) الياء = أنا

(بك) الكاف = أنت

أصبحت هذه الضمائر التعادل الموضوعي بين الطرفين الذي يظهر فيه المتكلم/ الشاعر العتاب والتأنيب للمعتمد، فيقول له: كنتُ باكياً زماناً وانت كنت ضاحكاً، وكسري كان عندك جبر، وكان ذلك التأنيب والعتاب بإضفاء الدلالة الايجابية على المخاطب والدلالة السلبية على المتكلم، فنلاحظ أن الشاعر يعادل بالضمائر بين الشطرين ويعطي لكل منها دلالات متضادة عن الاخرى ونوضح ذلك.

المخاطب/ المعتمد

المتكلم/ الشاعر

ضاحكاً (انت)

تضاد

الشطر الأول/ بكيتُ (أنا)

← →

جبر (انت)

تضاد

الشطر الثاني/ كسر (أنا)

← →

ومن ذلك قوله:

ضرائبه الإخلاف ضرائبي

تغذى بأخلاقي صغيراً ولم تكن

(ابن حمديس، ١٩٦٠، ٢٩)

نلاحظ في هذا البيت بأن تضاد الضمائر تشكل في الالفاظ (ضرائبه/ ضرائبي)، إذ يفتح النص سياق دلالي واضح، يبدأ فيه المتكلم بإعطاء دلالة الضمير المستتر (هو)، ويمثل الضمير الغائب المستتر هو السائد في النص والموجه للدلالة المعني إليها (تغذى) (هو) التي تعود على الزمن. إن الشاعر يتحدث عن الزمن ويبين بأنه هو المفضل على الزمن فإنه (تغذى بأخلاقي صغيراً) أي كان مهتماً به منذ ان كان صغيراً، ثم يرصد في الشطر الثاني الفاظ التضاد التي مثلت مؤشراً اسلوبياً يكسر رتابة السياق العادي للنص ولاسيما في التضاد الضمائري بين اللفظتين (ضرائبه خلاف ضرائبي) إذ تفصح لفظة (خلاف) عن التضاد والتخالف الحاصل بين الطرفين، أي بين ضمير الغائب (هاء) وضمير المتكلم (ياء)، فإنه يتفاجأ من هذا الزمن عندما يظهر خلافه، برغم تفضيله عليه، لكنه يظهر خلافه، فلا يوافقه بل يخالفه، بذلك يعني أن النص يسير بالاتجاه العادي المألوف لكن

حينما يأتي في الشطر المقابل التضاد بين طرفيه وخاصة على مستوى الضمائر الحاصل بين ضمير الغائب وضمير المتكلم يشكل منبهاً اسلوبياً، ينبه المتلقي/ القارئ بمرجعتين مختلفتين متضادتين. وقال في الغزل: (من السريع)

سهميك أم رُمحك أم صارميك

بالله من صير من ناظريك

منك، أكلَ القتل في ناظريك؟

فحيثما كنتِ خشيتُ الردى

من لون خديك بتفاحتك

لو شئتِ حبيتِ نشاوى الهوى

نخلعُ أفواهاً على أخصميك

وإن تَغَيَّيتِ لنا لم نَزَلْ

على جناياتك، صبرٌ عليك

لا صبرٌ لي عنك وإن كان لي

(ابن حمديس، ١٩٦٠، ٢٧٢)

نرصد بنية التضاد في البيت الاخير في النص القائمة على مستوى النفي بين (لا صير/ صير) كما نلاحظ الضمائر بارزة على النص والتي تظهر بين المتضادين، إذ يرتبط كل من المتضادين بالضمائر التي تعطي دلالة مترابطة للضدين (لي عنك/ لي عليك) اي (انا- انت/ انا- أنت)، فقد تتجلى الذات الشاعرة في حديثه عن نفسه وخطابه الموجه نحو الحبيبة، فإنه ينفي صبره عنها حتى إن كان هذا الصبر جنابة معها. إن الشاعر استطاع بأسلوب التضاد الحاصل في سياق الضمير ان يؤدي التقاتة جديدة في النص، وهذه الضدية التي تعود في النهاية وتشير إلى دلالة ومرجعية واحدة وهي (الذات) المتكلم/ الشاعر. وقال يرثي جارية له: (من البسيط)

وانما مدّ عمري قاصرٌ عمرك

وما نجوت بنفسي عنك رغبةً

(ابن حمديس، ١٩٦٠، ٢١٣)

نلاحظ أن التضاد وقع بين (مدّ عمري/ قاصر عمرك) فمثلت هذه الالفاظ ترابطاً مع الدلالات التي شملت الفاظ التضاد (مدّ/ قاصر)، فارتبطت اللفظة الاولى بضمير المتكلم (أنا) بينما ارتبطت اللفظة الثانية بضمير المخاطب (أنت) إذ يبين الشاعر حزنه وألمه على جارتته ويعبر بذلك، أنه لم تكن نفسي رغبة في النجاة من الموت، فالخلاص من الموت لم يكن رغبة من نفسي وانما كان مدّ عمري السبب في قصر عمرك، وبذلك نرى هذا الانتقال بين الضمائر، ويصاحبه الانتقال في المعنى والدلالة باللجوء من اللفظ إلى ضده وهذا يعطي تفسيراً واضحاً ودلالة ملائمة للسياق الذي ورد فيه، وهكذا فإنه " لا يولد الاسلوب الواحد كل الطاقات الدلالية في القصيدة ولكن من الاساليب مساهمتها في الدلالة أوفر من مساهمة غيرها في سياقات دون أخرى" (الطرابلسي، ١٩٩٢، ٤٠٩).

نتائج البحث

- ١- إن التضاد ظاهرة اسلوبية واضحة في شعر ابن حمديس الصقلي، لأن اغلب شعره قائم على التضاد وجدنا هذا النوع الجديد من التضاد واطلقنا عليه بتضاد الضمائر.
- ٢- يعد تضاد الضمائر تقنية اسلوبية لم يسبق ذكرها عند احد، ويمكن ان تلفت المتلقي إلى اداء النص وما ينتقل إليه من معانٍ
- ٣- فضلاً عن التضاد الحاصل في النص فقد يمثل الانتقال في الضمائر البنية المركزة التي تحمل النص إلى سياقات جديدة من جهة أخرى.
- ٤- يمكن ان نلاحظ من خلال كشفنا عن النص أن الضمائر قد تكون متصلة بالمتضادات أو قد تأتي بشكل منفصل عنها، وهذا ما وضعناه في تحليلنا لأبيات الشاعر.
- ٥- يأتي دور هذه الضمائر بالانحراف وكسر سياق النص عن طريق الانتقال من صيغة إلى أخرى واضفاء دلالة والغاء أخرى من خلال سياق اسلوب التضاد ولأسيما ان الانتقال من اسلوب إلى آخر يكون تحديداً لنشاط السامع.

المراجع

١. ديوان ابن حمديس (٥٢٧هـ) صححه وقدم له الدكتور: احسان عباس، دار احياء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، ١٩٦٠.

المصادر

١. البلاغة والاسلوبية، د. محمد عبد المطلب، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٩٨٤.
٢. اقنعة النص، سعيد الغانمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩١.
٣. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الاثير، حققه وشرحه د. احمد الحوقي، بدوى طبانة، منشورات الرفاعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨٣.
٤. التفكير الاسلوبي، رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الاسلوب الحديث، د. سامي محمد عباينة، عالم الكتب الحديثة، جدار للكتاب العالمي، عمان، الاردن، د. ط، ٢٠٠٧م.
٥. خصائص الاسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٢.

الرسائل والاطاريح الجامعية

١. سورة الكهف، دراسة اسلوبية، وسن عبد الغني محمد مال الله المختار، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، اشراف: د. بشرى البستاني.
٢. شعر ابن خفاجة، دراسة اسلوبية، بسمة محفوظ البك، اطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، اشراف: د. نزهة جعفر الموسوي، ٢٠٠١.
٣. شعر محمود حسن اسماعيل، دراسة اسلوبية، عشتار داوود، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، اشراف: د. عبد الهادي نيشان، ١٩٩٩.

الابحاث والمجلات

١. الالتفات واثره في شاعرية ابن زيدون " دراسة نصية" حسن خربوش، مجلة ابحاث اليرموك، مجلد ١٢، العدد ٢، ١٩٩٥.
٢. تبادل الضمائر وطاقاتها التعبيرية، محمد نديم خشقة، مجلة البيان، عدد ٢٩٢، ١٩٩٠.

References

1. Diwan Ibn Hamdis (527 AH), corrected and introduced by Dr. Ihsan Abbas, Dar Ihya for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, first edition, 1960.

Sources

1. Abdul Muttalib, Dr. Muhammad, (1984), Rhetoric and Stylistics, Egyptian General Book Authority Press, first edition.
2. Al-Ghanimi, Saeed, (1991), Masks of the Text, General Cultural Affairs House, Baghdad, first edition.
3. Ibn Al-Athir, Dīaa Al-Din, (1983), The Proverb in the Literature of the Writer and Poet, edited and explained by Dr. Ahmed Al-Hawqi, Badawi Tabana, Al-Rifai Publications, Riyadh, second edition.
4. Ababneh, Dr. Sami Muhammad, (2007), Stylistic Thinking, a Contemporary Vision of Critical and Rhetorical Heritage in Light of Modern Stylistics, World of Modern Books, Wall for the World Book, Amman, Jordan, first edition.
5. Al-Tarabulsi, Muhammad Al-Hadi, (1992), Characteristics of Style in Al-Shawqiyat, Dar Al-Janub for Publishing and Distribution, Tunis.

University Theses and Dissertations

1. Al-Mukhtar, Wasan Abdul-Ghani Muhammad Mal Allah, (undated) Surat Al-Kahf, a stylistic study, Master's thesis, College of Arts, University of Mosul, Supervised by: Dr. Bushra Al-Bustani.
2. Al-Bak, Basma Mahfouz, (2001), Ibn Khafajah's Poetry, a Stylistic Study, PhD Thesis, University of Mosul, Supervised by: Dr. Nahza Jaafar Al-Moussawi.
3. Dawoud, Ishtar, (1999), Mahmoud Hassan Ismail's Poetry, a Stylistic Study, Master's Thesis, College of Education for Girls, University of Baghdad, Supervised by: Dr. Abdul Hadi Nishan.

Research and Journals

1. Kharboush, Hassan, (1995), Attention and its Effect on Ibn Zaydoun's Poetics "A Textual Study", Yarmouk Research Journal, Volume 12, Issue 2.
2. Khashqa, Muhammad Nadim, (1990) Exchange of Pronouns and Their Expressive Power, Al-Bayan Journal, Issue 292.